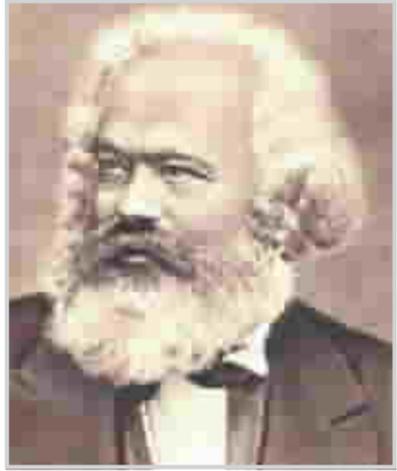


ظلال المرأة في كتابات مناصريها

فاطمة المحسن



ماركس



الطهطاوي

يبحث القراء في المجتمعات الثقافية عن الرجل المتخفي خلف كتابات المرأة، وعلى وجه الخصوص تلك التي تشتهر على حين فجة، ولكن من النادر أن ينسب إبداع الرجل إلى امرأة ما، رغم القول المتداول: وراء كل عظيم امرأة!

وهذا القول اليتيم بين سلسلة الأمثال والمواقف العدوانية إزاء النساء، يمكن دحضه في سيرة الكثير من العظماء اللذين عاشوا وحيداً دون امرأة، مثلما يمكن التثبت منه عند بعض الكتاب والفنانين اللذين دونوا سيرتهم أو أعدا المختصون كتابتها.

لعل المفكرين والأدباء اللذين كرسوا جزءاً من جهودهم من أجل قضايا النساء عرضة للسؤال العنوي: كيف لهم الخوض في مواضيع لاتعني الكثير من رفاقهم وإبنائهم، وهل هناك تجربة خاصة حرضتهم على الكتابة؟ يهنئي الكتاب إلى موضوعه في العادة عبر مسارب المعرفة التي

تترابط في منظومة منطقية من الخبرات والقراءات والتصورات والمواقف، ولكن تلك السلسلة لاتفضي بالضرورة إلى النتائج ذاتها عند كل المشتغلين في عالم الفكر والفلسفة والأدب، فهناك الكثير من المفكرين الإنسانيين لا يرون في مساواة الجنسين ضرورة لتقدم البشرية، وبعض الثوار والمتمردين على التقليد الاجتماعي كانوا من أعداء النساء. كتاب الأميركية سوزان مولر أوكين يتابع الموقف من النساء في الفكر الغربي منذ ظهور يوادره في التراث اليوناني، حيث اكتشف الكتابة ما تسميه "نغمة الكراهية" التي تسم كتابات الشعراء والفلاسفة وفي مقدمتهم افلاطون وسقراط، فالمرأة من وجهة نظرهم، أول البلاء في البشرية، وحتى صفات الآلهة المؤنثة في هذا التراث، مجرد صفات رجولية. ومرد تلك العدوانية ثقافة الحب في التراث اليوناني التي تقوم على المثلية الجنسية. ولكن الحقوق تعني غير

المرغبات في مجتمع بني على الجدل العقلي، وليس على تهويم الخرافة. فألهتهم في العادة تريض بعيداً محلقة في سماء الفن، حين يخوض الفلاسفة والمفكرون في قوانين البشر، ولكن المصالح تبقى هي المحرك الأساسي. كانت حقوق المواطنة في أثينا تطبق وفق المراتبية الاجتماعية، التي لاتوفر للنساء والعبيد الإمتيازات التي يحصل عليها الرجال الأحرار، على هذا الأساس بقي تراث الفكر الانساني يتراوح بين القبول والرفض لحقوق المرأة، لحين بزوغ عصر النهضة العلمية التي بدأ فلاسفتها في البحث عن مفهوم المواطنة التي يتساوى الجميع فيها أمام القانون، فهل كان هذا العصر ايداناً باهتمام المفكرين بقضية المرأة؟ كل التواريخ تشير إلى ارتباط عهد الصحوة الحقيقية والمطالبة بالمساواة، يتمكن النساء اللكاتيب من رصد المكتبة العالمية بحوث ومعالجات وإبداعات تبرهن على

المرغبات في مجتمع بني على الجدل العقلي، وليس على تهويم الخرافة. فألهتهم في العادة تريض بعيداً محلقة في سماء الفن، حين يخوض الفلاسفة والمفكرين والفلاسفة إلا بمصدر تعلقها بتجاربيهم الشخصية مع النساء اللواتي عرفوهن أو ربطتهن بهن صداقة أو وشيجة عقلية وروحية. جان جاك روسو فيلسوف الحرية الذي دعا إلى مساواة البشر، كان يرى في المرأة قصورا عن الوصول إلى مواهب الرجل، وهي موضوعا جنسياً ينبغي أن يحجز داخل البيوت، فالرجل ينظره يملك قوة غير محدودة على التفكير العقلي والمجرد. كما يرى فيها المصدر الأول للشعور، وعقابها ولادة الأبطال بالوجه. ومع ان روسو قارب الجدل حول الظرف الاجتماعي في تكوين الشخصية غير انه تغافل عن شروط تحقق الذكاء والخبرة العقلية للنساء في حال تبدل ظروفهن. كان

روسو كما تقول سوزان أوكين، يخاف النساء، ومسكوناً بمرض عصره (الزهري) الذي ساهم في تعكير مزاجه إزاء المرأة، وهذا الأمر يشير إلى الرابطة الوثيقة بين التجربة الشخصية والمواقف الفكرية. وفي الضفة الأخرى تساعد العلاقة الشخصية على خلق وعي معاكس لنموذج روسو، حيث يصبح جون ستيوارت مل منظر وفيلسوف الليبرالية، من أكثر الناس تحمسا لقضية النساء، بل هو أول المفكرين اللذين نادوا بحق المرأة في التصويت الانتخابي. وكان كتابه (استعباد النساء) الصادر منتصف القرن التاسع عشر، نتاج تجربة شخصية، فقد كان محاطاً بمجموعة من النساء اللكاتيب الموهوبات، وفي مقدمتهن حبيبته وزوجته لاحقاً هاريت تايلور، وهي كاتبة وناشطة في مجال حقوق المرأة.

وفي سيرته الشخصية يذكر ان المقال الذي كتبه "منح حرية الانتخاب للنساء" لم يكن من بنات أفكاره لوحده، بل أسهمت هاريت تايلور في كتابته. كانت تلك المرأة تملك من الذكاء وقوة التأثير ما مكّنها من ان تجعل منظر الديمقراطية الأول، على تطابق مع أفكاره التي سطرها في كتابته "الحرية والمذهب الليبرالي".

ويشخص كارل ماركس نموذجاً للفيلسوف الذي كتب أفكاره في ظلال الحب الذي منحته زوجته، وهي امرأة تكبره سناً، ولكن وجه ماركس الإنساني والمساواتي يبرز في رسائل الحب التي كتبها إليها، والرعابة التي خصها بها خلال مرضها الصعب. فقد كان عاشقاً للمرأة التي تقاسمت معه محنته وعوزها، حين أنتج أفضل مؤلفاته تحت رعاية هذا الحب كما يقول. وبعقدورنا أن نجد الكثير من العلاقات المثمرة فكرياً وإنسانياً بين النساء والرجال المشتغلين في ميدان واحد، وتجربة سيمون دي بوفوار وجان بول سارتر من بين النماذج

التي تشرى الجدل حول العلاقة العقلية والروحية بين الرجل والمرأة وتأثيرها في تناقض الأفكار وتبادل الخبرات، بما فيها أفكار دي بوفوار حول النساء، وأفكار سارتر حول الحياة وعلاقات البشر، وكان هذا بين مواضيع البحوث التي ظهرت في الأدب الفرنسي.

وبين العرب وضع رائد النهضة الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي، مقولة حقوق النساء موضع التطبيق في حياته، فقد كان شديد الإعجاب بخبيبته وزوجته لاحقاً التي اشترط على نفسه عند زواجه منها الإمتناع عن أي تجاوز على حقوقها، وفي وثيقة الزواج صك لنفسه مبدأ الإخلاص لها وعدم الزواج من امرأة أخرى أو إمتلاك جارية في الفراش كما هي عادة الرجال في زمنه. أما دعوة قاسم أمين لتحرير النساء، فكانت نتاج علاقته بزوجه زينب ابنة أمير البحر التركي أمين توفيق، الفتاة التي أشرفت على تربيتها مرتبة انكليزية، وادى تطاول الرعا على بسبب أفكاره، إلى الانتكاسة في صحته سببت موته. كما كانت صلته بالأميرة نازلي هانم فاضل وراء تأليف كتابيه (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة)، وكان صالونها الأدبي الذي ترد عليه أمين قد عزز الجدل حول الربط بين معتقداته وموقف الأميرة الطليعي من قضايا النساء.

نازلي كانت أكبر من داعية فهي فاعلة إجتماعية بامتياز. في مصر مطلع القرن العشرين. ولعل إصدار المؤلف الأول (المصريون.. رد على دوق داركور) الذي نشره قبل التعرف على الاميرة والتردد على صالونها، بين الأدلة على وجهة هذا الاعتقاد. فهو كتاب يفخر بحجاب النساء ويعيب على الغربيات تحرهن. هل بمقدورنا هنا الاستنتاج بارتباط آراء الرجال المنصفة للمرأة بمزاج أو تأثر عاطفي أو فردي؟ يتوجب علينا عند الإقرار بالأمم، تجريد تلك الكتابات من قيمتها العلمية

والموضوعية، واحتسابها مجرد نتائج عارضة لهوى الكاتب ومزاجه اليومي. ولكن هل نستطيع عزل مسار الفكر الانساني عن التجربة الشخصية والتكوين البيئي للمفكر أو الباحث؟ من الصعوبة الجزم بجواب لهذا السؤال، ولكن الوعي بمشاركات العلاقات الفردية، أضحى اليوم جزءاً من تركيبه الفكر المعاصر، فقد أثرى الجدل الحديث مفهوم الفرد والفرادانية، وكان الحب والعلاقات الحميمة من بين مواضيع الفلسفة التي نشأت في احضان الفرادانية، فهي البيئة المناسبة لمعرفة قيمة التواصل وتناقل الخبرات، أفكار مابعد الحداثة في الغرب لم تعد محلقة في عالم التجريد العقلي، بل هي لصيقة بالتجارب الذاتية، فموضوع الجنون والعقل والحواجز الاجتماعية والجنس من بين أكثر المواضيع التي تثير اهتمام المشتغلين بالفكر الحديث.

إن ذلك يعد الحبي وتأثيره في إحداث التوازن الإنساني مجافياً للعقل أو الفكر، صحيح ان الكثير من نتائج راندات النسوية في ميدان الأدب والفكر واللغويات كانت ترتبط بتجارب التحدي الاجتماعي، والمقارعة الثورية، وتنبثق من الأم ومخاض الإستعباد والظلم، بيد ان النسوية الداعية إلى حرب الجبهات بين الرجل والمرأة أقل نجمها اليوم، وما تحصل عليه المرأة بذكاء الحب ربما يكون هو الأبقى في تاريخها الحديث. بالطبع هذا لاينطبق تماماً على المجتمعات المغلقة التي لاتستطيع مصالحة ذاتها، ولكن ديناميكية الحياة وتفاعلها تساعد على خلق تولدات لصالح الفئات الضعيفة في تلك المجتمعات، ولعل الحرور على ويلاتها، واحدة من أهم عوامل انتقال النساء من موقع إلى آخر، وتعرض الفكر المحافظ للنساء أنفسهم إلى إمكانية طرحها على نحو جديد.

الفنانة نادية مهمد ياس: غياب الجسد وحضور الظل

احتمال فورة الرغبة الجائشة في الصدر فيفتتق كاشفا عنه دون ابتدال.

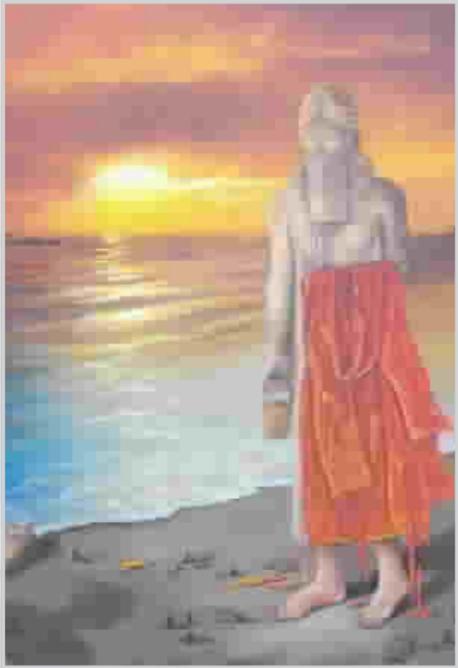
والمرأة هي عنوان لوحات الفنانة نادية وموضوعها. والعنوان الأبرز تمردها على الضعف والعجز، والرغبة في اظهار التساوي والتناظر بين الجنسين. وهي لا تنهم الرجل مباشرة بالاضطهاد والتمييز، لكنها لا تخفي امتعاضها من كتابة التاريخ ذكوريا، واهماله دور حاضنة الرجل صغيرا ويافعا ومن ثم شيخا كبيرا.. او ربما ملكا. نعم هي تبتعد عن الإشارة إلى الأم أو الطفل أو الزوجة، ولكنك تملأ هذا الفراغ بإيحاءات ذاتية تفرضها الطبيعة كتمرة للحب واشباع الرغبة. وهي تستعين باستعارات شتى لتحملك على التفكير في العائلة. فالملك البابلي يقف إلى جانب فراش الزوجية بينما تعرت الزوجة تلبية لرغبتة على ما يبدو.. ويعلن القميص من جديد اشتعال الرغبة في موقع آخر منفصل ولكنه غير بعيد. والملك يقود معشوقته إلى الشاطئ ولكنها تستحيل ثوبا احمر قانيا يقطر دما، بينما يخيم ظلها في طرف اللوحة. والجريمة قد تكون في دورة الحياة المتكررة شهريا.. ضريبة الطفل والعائلة التي تدفعها المرأة منفردة، وعليها وحدها ان تدفع -جسديا- ثمن بناء العائلة. وهي لذلك تسعى إلى التخلص من ذلك الجسد بالهروب إلى ظله، مع ابقاء الرباط اليه متمثلا بالقميص المرتبط بدوره بالمشوق-الملك. وبالطبع فان محاولة الحبيب التخفيف من هذه الحمى لا تجدي نفعاً فهو انما يواسيها بماء ينقله بدلوه الصغير، بينما تنزف هي دما من جسدها. ومرة أخرى يغيب التوافق، وتعمل الطبيعة على كبج المرغبات هذه المرة.

ان الاستغراق في لوحات الفنانة يمنحك متعة الشعور بان الحياة تدب في الأطراف المجتزأة من كينونات أخرى. لايهم ان كان

علاء خالد غزالة

تواجهك الفنانة نادية محمد ياس بصراحة مع ذاتك وترغمك على الاستبطان بطريقة مبسطة ولكن لا تخلو من ذكاء. هذه المواجهة القدرية التي تحاول الهرب منها باستمرار.. تهرب من الماياء وصفحات الماء، كما تهرب من عيون الآخرين وعبراتهم. فهي تجعلنا نسأل عن الحاضر بينما نفتقد الغائب بين ثنائيا قطع الأثاث البالية او شماعات الملابس، ثم نرغمنا على تحسس اطرافنا لتأكد من انها لم يتم اقتطاعها لصالح اللوحة. وبينما نجد يدا معلقة على كرسي، او قدمين غابتا تحت قميص اجوف، يخامرنا شعور بان باقي الجسد قد استحال إلى شبح او ظل يخيم على اللوحة معلنا موتا آخر لكائن حي.

ولكن اليد قد تكون امتدادا للكائن الحي في محيط سوريالي يستحضر حضارات سادت ثم بادت.. تلك التي كرس ت الرجل في صورة ملك -إله لا يشق له غبار، وجعلت المرأة سلاحه في فرض سلطته غير المنتهية، ومن ثم كساها بقميص مزركش بالوان النار اشياعا لغروره وتأكيدها لسلطوته. وان كانت الرغبة الجنسية متناظرة بين المرأة والرجل، الا انها في لوحات الفنانة تمرد على امتياز الرجل في احتكارها بما يلائمه. فالمرأة فرس ثائرة حينما يغيب الملك عنها جسدا، ويحضر ظلها باهتا في خلفية اللوحة ليبدل على عدم اكترائه، ولا يقوى قميصها على



من لوحات الفنانة نادية محمد ياس

ان اصرار الفنانة نادية محمد ياس على اظهار جوانب مسكوت عنها في حياة المرأة، وطرحها قضية التساوي دون اتهام للطرف المقابل، وتمردها على الضعف والاستسلام الاثنوي، وتأكيدها على الحضور والغياب الروحيين دون اعتبار لمطالبات الزمان والمكان، انما يدل على حس مرهف وشعور متيقظ وجرة مذهلة، تنساب إلى انامل مبدعة لتداعب الريشة والزيت في لوحات اقل ما توصف بانها متعة متسامية، تبدأ باللاوعي لتتمر عبر ادراك خفي إلى مستوى الوعي الكامل بوجود تميّاز ومناظر.

✦ الفنانة من مواليد بغداد - ١٩٧٠ تخرجت في كلية الفنون الجميلة- فرع الرسم عام ١٩٩٣، وهي عضو في نقابة الفنانين العراقيين وجمعية التشكيليين العراقيين، ولها مشاركات في اغلب المعارض والمهرجانات داخل العراق. كما ان لها مشاركات دولية عديدة في معارض الفن العراقي المعاصر في عمان-الأردن/ ١٩٩١، ٢٠٠١، ولندن/١٩٩١، وبيروت/٢٠٠٦، والبحرين/٢٠٠٤، وتونس/٢٠٠٢، ومعرض امتدادات رسم برعاية السفارة الفرنسية في العراق ووزارة الثقافة العراقية في قاعة فضاء وفن/٢٠٠٥، ومعرض كالييري الاربعة في لندن/١٩٩٢، ومهرجان بغداد العالمي الثالث للفن التشكيلي/٢٠٠٢، كما حصلت على العديد من الشهادات التقديرية منها الجائزة الاولى لمهرجان الواسطي ١٩٩٣، والجائزة الاولى في مسابقة قضايا المرأة في الحرية والمساواة التي اقامتها وزارة الثقافة بالتعاون مع صندوق الأمم المتحدة للمرأة/٢٠٠٦، وجائزة الإبداع للشباب/٢٠٠٣ وزارة الثقافة -بغداد. وتعمل مستشارة فنية في مؤسسة أبحاث للدراسات القانونية وحقوق الانسان التي تهتم في مجال تطوير المرأة والدفاع عن حقوقها القانونية والدستورية.

سافرة جميل هـ أفندي



عليا ابراهيم الدليمي

سافرة جميل حافظ، إحدى الأدبيات العراقيات اللواتي لهن حضور متميز في الوسط الثقافي والسياسي منذ العقد الخمسيني، تخرجت في جامعة بغداد/ كلية الآداب فرع اللغة العربية سنة ١٩٥٤ لتشتغل بالصحافة.. وقد نشرت قصصاً ومحاولات وتراجم في اغلب الصحف المحلية آنذاك.. وفي سنة ١٩٥٦ صدرت لها مجموعتها القصصية الأولى بعنوان (دمى واطفال).. وواصلت سافرة جميل عملها الأدبي هنا وهناك، فضلاً عن نشاطها الاجتماعية والوطنية، انتخبت مؤخراً في المجلس المركزي لاتحاد الأدباء العراقيين، أسست قاعة الروابي للفنون وشجعت كثيراً من الفنانين الشباب.

سنة ١٩٦٣ توقفت أديبتنا عن نشاطها الأدبي، بعدما تعرضت لكثيرها لرياح سياسية، تعارض مع أفكارها ومبادئها الإنسانية.. إذ فوجئت بالواقع المؤلم

الذي يعيشه البلد وقتذاك والذي كان بعيداً جداً عن رؤيتها الفكرية واهدافها التي تتمسك بها.. ليتمثل رأسها بالأسئلة العديدة التي لم يجب عليها احد حتى الآن.. لماذا هذا القتل الوحشي المتكرر للانسان الاعزل؟ ولم هذه القيود الفولاذية على (فكر) الإنسان وكتم الأصوات الصريحة والصريحة، وابن ديمقراطية وحرية التعبير.. و.. والخ من الأسئلة التي ظلت وستظل كطلاسم مجهولة إلى يوم يعثون!!

عندما اهدت لي مجموعتها القصصية الجديدة مؤخراً (١٤ قصة).. عززتها بنبرة صوتية خانقة وهي تشير إلى صدغها: هذه القصص هي جزء يسير جداً من ملامح ذكريات ومواقف ومشاهد انسانية مختزنة في صندوق رأسي، لا أستطيع ان امحوها بسهولة ابداً.

ولديها رواية بثلاثة اجزاء دفعت الجزء الأول منها إلى دار الشؤون الثقافية منذ أكثر من سنة تقريباً.. وفيها سرد توثيقي لمسيرة المهانة التي يعيشها المجتمع العراقي منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن، بشكل روائي معزز بتواريخ وتفاصيل (زمنية) حصلت عليها من عدة مراجع ووثائق تاريخية نادرة.. إلا أننا نعود لنستشف بايجاز بعض ما تميزت به مجموعتها الأخيرة، التي احتوت على اربع عشرة قصة تفاوت طول قصصها، الا ان جميع حوارها استلهمت فيها صراع الثنائيات المستمدة من الواقع العراقي المرير. يشير د. عمر الطالب في دراسة خاصة عن كتابات الفصحة في العراق ان الفاصلة سافرة جميل: (أول كاتبه عراقية وفتت إلى جانب كتاب الواقعية الجديدة الذين كشفوا عن عيوب المجتمع الطبقي المتخلف في العهد الملكي، وكانت تجد الأمل قوياً في

التغيير وبناء مجتمع عراقي جديد يهزم الاستغلال ليعطي كلا حسب كفاءته..). لقد هيمنت في هذه المجموعة القصصية لغة الحوار الجوهري المكثف وتكنيكه الوصفي الذي فرض على كثير من المواقف.. فضلاً عن اكتناز الكثير من الايحاءات الرمزية الواقعية في سايكولوجيا الشخصيات ووصفها بريشة فنانة باعثة.. ويعود هذا التأثير القصصي في أسلوب سافرة جميل إلى بداية تأثرها بتقاليد المدرسة الواقعية خصوصاً عند التطرق إلى العلاقات الطبقة الاجتماعية المتفاوتة.. فقصص وأسلوب سافرة جميل حافظ في طرح قصصها تعد (قصصاً مدججة) على قول ادوارد بلش في (الرواية المدججة) التي تدور أحداثها في الحياة اليومية لتترك نهاياتها تتعالج من لدن القارئ الذي تتشع أغواره بالمأساة بعيد ميلودرامي متكامل.